Journal of Scientific and Human Dimensions
مجلة الأبعاد العلمية والإنسانية
ISSN: 3106-1702
Volume 2, Issue 3, 2026 Pages: 1188-1199
Journal homepage: https://jshd.com.ly/index.php/jshd/en

Totalitarianism and Power in Hannah Arendt's Thought

Dr. Mabrouka Abdullah Maatallah*
Department of Philosophy, Faculty of Arts and Languages, University of Tripoli, Tripoli, Libya

التوتاليتارية والسلطة عند حنة ارندت

د. مبروكة عبد الله معطى الله *
قسم الفلسفة، **كلية الآداب واللغات، جامعة طرابلس، طرابلس**، ليبيا

*Corresponding author: m.maatallah@uot.edu.ly

Received: May14, 2026	Accepted: August 25, 2026	Published: September 29, 2026

Copyright: © 2026 by the authors. This article is an open-access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Abstract:
For the philosopher Hannah Arendt, totalitarianism represents an unprecedented form of political and social control aimed at absolute domination and the eradication of individual autonomy; it differs radically from traditional tyranny. Arendt was influenced by several philosophers who left a distinct mark on her thought. She studied directly under two eminent philosophers—Heidegger and Jaspers—before shifting her focus toward politics; indeed, one could say she blended philosophy and politics, even though she rejected the title of "philosopher," preferring instead to be described as a political theorist. This stance was directly linked to the bitter experiences she endured in Hitler's Germany. Moreover, philosophy failed to enable a distinguished thinker like her teacher, Heidegger, to recognize the true nature of Nazism or to resist its dictates.
Arendt also rejected the equation of power with violence; for her, violence is associated with the disappearance of power, and the exercise of violence occurs only upon the actual collapse of power. Violence is incapable of protecting power from falling, whereas political stability is closely linked to the absence of violence. With the evolution of governance, we observe the emergence of a new form of rule in the modern era: bureaucratic rule. This is a system of complex administrative structures where responsibility for events cannot be pinned on any single individual—a form of governance that might well be termed "rule by nobody." If we define tyranny as a form of government that is not compelled to render an account to anyone for its actions, then—by contrast—we find the "rule of nobody" to be even more tyrannical, precisely because it is the rule of nobody.

Keywords: Hannah Arendt, Politics, Power, Totalitarianism, Tyranny

الملخص
التوتاليتارية (الشمولية) عند الفيلسوفة حنة أرندت هي شكل غير مسبوق من أشكال السيطرة السياسية والاجتماعية تهدف إلى الهيمنة المطلقة وإلغاء الاستقلال الفردي، وتختلف جذرياً عن الاستبداد التقليدي. وقد تأثرت حنة أرندت بالعديد من الفلاسفة الذين تركوا أثراً واضحاً على فكرها. فتتلمذت بشكل مباشر علي يد فيلسوفين متميزين ألا وهما هايدجر وياسبرز، ثم جاء تحولها إلى الاهتمام بالسياسة، حتى إننا نستطيع القول بأنها مزجت ما بين الفلسفة والسياسة. وإن كانت رفضت لقب فيلسوفه، وفضلت وصفها بالمنظرة السياسية. وهذا الموقف يرتبط بشكل مباشر لما تعرضت له في ألمانيا الهتلرية من تجربة مريرة. فضلاً عن ذلك، لم تساعد الفلسفة فيلسوفاً متميزاً مثل أستاذها هايدجر من معرفة حقيقة النازية والانصياع لأوامرها. كما رفضت ربط السلطة بالعنف، لأن العنف عند أرندت يقترن باختفاء السلطة، وأن ممارسة العنف يتم عند الانهيار الفعلي للسلطة. ويعجز العنف في أن يحمي السلطة من السقوط. ويرتبط الاستقرار السياسي ارتباطاً وثيقاً بغياب العنف. ومع تطور أنماط الحكم، نجد في عصرنا الحاضر ظهور نمط جديد للحكم يتمثل في الحكم البيروقراطي. ذلك الحكم الذي يتم من خلال نظام مكاتب معقد، لا نستطيع أن نضع مسئولية ما يحدث على أحد. وأن هذا الحكم يمكن أن يطلق عليه حكم لا أحد. وإذا كنا

نقوم بتعريف الطغيان على أن حكومته غير مجبره على تقديم أي حساب لأحد عما تمارسه نجد في المقابل حكم اللا أحد أكثر طغياناً، لأنه حكم لا أحد.

الكلمات المفتاحية: حنة ارندت، السياسة، السلطة ، التوتاليتارية، الطغيان

مقدمة:

تعد الفيلسوفة الالمانية حنة أرندت1906 م ذات الأصول اليهودية، من رواد الفكر السياسي الغربي في القرن العشرين. درست الفلسفة واللاهوت والفيلولوجيا، وتتلمذت على يد أشهر الفلاسفة الالمان كهايدغر، وياسبرز، هوسرل. كما انها عاصرت الكثير من الاحداث والصراعات في المانيا، وشهدت التحولات الكبرى التي حدثت للإنسانية. فسيرتها الذاتية تعد تجسيداً حياً لأهم الأحداث الدموية التي حدثت في القرن العشرين قرن الحروب والثورات. وفكرها السياسي مرتبط بشكل مباشر بالأزمات التي عاصرتها في القرن العشرين، وعاشت بنفسها تجربة النازية مع هتلر، ولم ينقذها من الموت سوى هروبها خارج ألمانيا.الى فرنسا ثم الى أمريكا.

اهداف البحث: يهدف البحث الى دراسة التحول في فكر حنة ارنديت من الفلسفة السياسية الى عالم السياسة الذي تعتبره الطريق الأمثل للعثور على ولادة حقيقية للسياسي، رغم ما يعترضها من عراقيل كالعنف الذي يدير به الساسة الشأن العام.

إشكالية الدراسة:

تكمن الإشكالية في المشكلات السياسية التي استحوذت على السياسة مثل العنف، والسلطة، والإرهاب، والاستبداد، والحرية، والثورة، والشمولية التوتاليتارية. فكيف يمكن استكمال الفعل السياسي ووصول الانسان للحرية. وهذا ما سوق نتناوله في هذا البحث.

تساؤلات الدراسة: ماهي السياسة؟ ما أبرز ملامح النظام التوتاليتاري؟ وما صلته بالعنف؟ وما علاقة التوتاليتارية بالعولمة؟

أهمية البحث: ان كتابات حنة ارندت حول السياسة وأنظمة الحكم الشمولية لمساعدة السياسيين في الانخراط في السياسة بعلم لمقاومة كل أشكال الشمولية.

منهج البحث: يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي لدراسة المفاهيم السياسية الواردة في كتاباتها ومدى تطورها، دون اغفال المنهج التاريخي لتتبع تطور تلك الأفكار، مع استخدم المنهج النقدي لتحديد أسباب الازمة السياسية التي اورثت النظام الشمولي.

الفلسفة العملية عند حنة ارندت:

وسلكت عبر مشوارها الفلسفة العملية محاولة الإجابة عن التساؤل هل مازال لعلم السياسة معنى؟ وللإجابة عن هذا السؤال الهام قامت بتحديد ماهية السياسة، وكانت رسائلها الى كارل ياسبرز، ومارتن هايدغر تسير نحو هذا الاتجاه، وكانت تبدي على الدوام مخاوفها من السياسة الشمولية، والحروب المشتعلة في العالم دون أي مبررانساني، رافضة منذ البدء ادعاء تأسيس يوهم بالريادة والتفرد والسبق، بل أطلقت صيحات رعب من الكوارث التي حلت بالعالم إثر صعود النزعات اللاعقلانية. مثل هذه التجربة جعلتها تتناول النمطين الأبرز للهيمنة التوتاليتارية ألا وهما النازية الألمانية، والستالينية الروسية. فهى ترفض كل أنواع الاستبداد أيا كان، وتدافع عن حرية الإنسان بصدق. وليس أدل على ذلك من موقفها المعارض للصهيونية، بعد أن كانت تؤيده في البداية وساعدت في هجرة اليهود إلى فلسطين، ولكن عندما علمت بما يحدث هناك من إبادة كاملة للفلسطينيين أخذت موقفاً عدائياً، واعتبرها الصهاينة معادية لهم.

المفهوم العام للتوتاليتارية :

تنوعت وتعددت المفاهيم حول مفهوم التوتاليتارية هل هي مذهب أم نظام وسنفهم ذلك من خلال بعض المفاهيم التي قدمها بعض الفلاسفة ومن بينهم حنة أرنت وذلك للخوض في ممكن الحقيقي .

لغة: التوتاليتارية هي تعريب للكلمة اللاتينية tattles" أو الامتلاك، أما في الإنجليزية "وتعني الكل totalitarisme"وتعنى الإحاطة والشمول والاحتواء".(لالاند، موسوعة الفلسفية، ص 1465)

اصطلاحا: حسب لالاند الشمولية في فهمه للمصطلح كمذهب ودلالاته الفلسفية تختص في مجال مذهبين بين الوحدة والكثرة، وبهذا تقال الشمولية على كل مذهب يعتبر الواقع كلا فريداً،أي ان الشمولية تتعارض مع الفردية الجزئية أو أيضا مع الذرية التي تعتبر العالم كأنه مجموعة أجزاء منعزلة ولا علاقة مستقلة عن بعض جوهرية فيما بينها (لالاند، موسوعة الفلسفية، ص 1456)

هي نظام اجتماعي مغلق وشكل من أشكال الحكم الشمولي السياسي للطغيان بحيث ينعدم على مستواه القانون والنظام، وتكون السلطة في يد رجل واحد، فالشمولية هي إحدى طرق الحكم...وهي باختصار تعني نظام سياسي يسيطر فيه حزب واحد فقط على الحياة السياسية في الدولة ولا يسمح بوجود معارضة، فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بوجود نظام بوليس ً 16

أولاً: التوتاليتارية والجماهير

نجد أن الدولة الشمولية تمثل كتلة واحدة، وترفض مبدأ فصل السلطات او بأي شكل من أشكال الديمقراطية التي عرفها الغرب. وكل معارضة لهذا الكل تحطم بالقوة، فلا رأي، ولا تنظيم، ولا تكتل خارج سلطة الدولة. وفي مقال نشره الفيلسوف الإيطالي جيوفاني جنتيلي Giovanni Gentile(1875-1944) وهو مفكر وسياسي وصحفي مناهض للفاشية من أتباع العقلية الجديدة، وصف نفسه بأنه "فيلسوف الفاشية" الف عام1932م مذهب الفاشية.بالإنجليزية عام 1928 بعنوان " الأسس الفلسفية للفاشية" تناول صفة Totalitarian بمعني الإحاطة والشمول واحتواء كل شيء في وصفه للنظام الفاشي". (إمام عبد الفتاح إمام - 1993 ص64**).**

والحكومات الشمولية هي نظام السلطة الواحدة وترفض تماماً تعدد السلطات داخل الدولة. وكذلك ترفض التعددية بكل أشكالها سواء كانت حزبية أو غير حزبية، وتخضع لقيادة الزعيم الواحد، والأيديولوجيا الواحدة. وترفض تماماً وجود معارضة، وإن وجدت تتعامل معها بكل قسوة وعنف.

مفهوم التوتاليتارية عند حنة أرندت:

التوتاليتارية عند الفيلسوفة "حنة أرندت" هي نظام حكم يسعى للهيمنة الكاملة على كل تفاصيل حياة الفرد والمجتمع .تهدف هذه الأنظمة، كما حللتها في كتابها الكلاسيكي أصول التوتاليتارية والتي تعني تحكم شخص واحد في جميع السلطات، وبالطبع يتحكم في كل القرارات، ويسعى إلى تدمير استقلالية الإنسان وعفويته عبر الإلغاء التام للحدود بين الحياة العامة والخاصة. ويتمتع هذا النوع من الحكم بتأييد جماهيري جارف. وهناك اختلاف بين مفهوم الشمولية التوتاليتارية والاستبداد. لأن التوتاليتارية تسعي إلى دمج الجماهير في أيديولوجيا واحدة. كما تسعي إلى السيطرة على كل شعوب العالم، وإزالة كل واقع غير توتاليتاري. والتوتاليتارية عند وجودها في السلطة تظل كما هي قبل وجودها في السلطة لا تعرف الاستقرار، أو مراجعة مواقفها.

تؤكد الفيلسوفة ارندت ان الشمولية تختلف بجوهرها عن جميع أشكال المعروضة للاستبداد والطغيان أو الديكتاتورية، وهذا في مكان وصلت إليه السلطة، فالشمولية من وجهة نظرها أحدثت مؤسسات سياسية جديدة كليا ، لقد دمرت كل التقاليد الإجتماعية، القانونية، والسياسية للدول التي حكمتها، والنظام الشمولي يحول دائماً كلَّ جميع الطبقات إلى جماهير غير نظام الاحزاب إلى دكتاتوريات ذات حزب واحد، ولكن بحزب للجماهير، ينقل مركز سلطة الجيش والأمن ويضع في التنفيذ سياسة خارجية تريد الهيمنة على

العالم.(حنة أرندت ـ -1993 ص 31) معني هذا أن التوتاليتارية لا تستمر في السلطة إلا بمقدار ما تدفع كل ما يحيط بها إلى الحركة (المصدر السابق :نفسه) ويتصف الحكم الشمولي بالتأييد الجماهيري الكاسح. ومن المفارقات التي تلفت نظرنا أن هتلر قد وصل إلى السلطة ليس بمؤامرة أو انقلاب، ولكن بصورة شرعية، وفق قاعدة الأغلبية الحاكمة. وما كان يتسنى له أو لستالين من فرض سيطرتهما علي شعوب عريضة باسرها، وأن يصمدوا في وجه أزمات داخلية وخارجية عديدة، لو لم يكونا حائزين علي رضا الجماهير وثقتها.

دور الجماهير في ترسيخ التوتاليتارية

وإذا كانت أرندت تتناول الجماهير على أنهم مارسوا دوراً أساسياً في ترسيخ التوتاليتارية، نتيجة موقفهم الذي يتسم بالسلبية واللامبالاة. نجد " أورتيجا " وهو فيلسوف ومفكر إسباني بارز له كتاب. "تمرد الجماهير" فيذهب إلى القول بأن الإنسان الجماهيري لا يمتلك في حياته أي هدف، وهو من يرغب في التخلص من المتميزين، وهو لا ينجز شيئاً على الرغم من قدراته وإمكاناته الهائلة (خوسيه اورتيجا 2011، ص 90) وبشكل عام نجد أن الحركات التوتاليتارية في الغالب تسعي إلى تنظيم الجماهير، ويحدث ذلك على خلاف الأحزاب القائمة على المصالح والتي تهتم فقط بالطبقات. وغالباً ما يحدث في أعقاب الحدث الجلل، خلل يصيب المجتمعات، أو بتعبير آخر هزة عنيفة تحدث لهؤلاء الذين عاصروا مثل هذه الأحداث المزعجة. ومن الأحداث التي أصابت العالم بالصدمة ولا سيما في المجتمعات الأوربية التي اندلعت منها الشرارة الأولى للحرب العالمية الأولي وكذلك الثانية. فنجد أن نتيجة الحرب العالمية الأولي تعرضت أوروبا إلى موجه من الحركات شبه التوتاليتارية، والتوتاليتارية، التي تظهرالعداء للديمقراطية وتؤيد الديكتاتورية. كما انتشرت الحركات الفاشية في كل بلدان، أوروبا الوسطي والشرقية تقريباً. ومع ذلك نجد أن موسوليني 1883-1945 هو حاكم إيطاليا ما بين 1933 و1943م كان في فترة حكمه رئيس الدولة الإيطالية ورئيس وزرائها وفي بعض المراحل وزير خارجية (حنة أرندت -1993 ص 36، 37) ولقد عبر موسوليني عن الأنظمة الشمولية في خطاب القاه في 28 أكتوبر عام 1925 بقوله "الكل في الدولة، ولا قيمة لشئ إنساني أو روحي خارج الدولة، فالفاشية شمولية، والدولة الفاشية تشمل جميع القيم وتوحدها، وهي التي تؤول هذه القيم وتفسرها، إنها تعيد صياغة حياة الشعب كلها" (المرجع السابق ص57). هذا وقد عمل موسوليني في تحرير صحيفة أفانتي ومن ثَّم أسس ما يعرف وحدات الكفاح التي صارت فيما بعد نواة لحزبه الفاشي الذي وصل به إلى الحكم نفسه اكتفي بأن أرسى دعائم ديكتاتورية الحزب الواحد.

توجد الحركات التوتاليتارية حيثما توجد الجماهير التي يتملكها رغبة لا تقاوم في الإنتظام السياسي لسبب أو لآخر. إن الجماهير في هذه الحالة لا يوحدها مصالحها المتداخلة والمتشابكة، ولكن الغريب أن تلك الجماهير تفتقد تماماً إلى الوعي. وأن تلك الجماهير تنطلق من كونها قد أصابها العجز بسبب اعدادهم المحضة أو لسبب اللا مبالاة التي سيطرت عليهم عند الاندماج في التنظيمات القائمة علي الصالح المشترك، سواء كانت أحزاب سياسية، أو مجالس بلدية، أو تنظيمات مهنية، أو نقابية. وأن الجماهير متواجدة وبكثره في كل بلدان العالم، وتمثل الأغلبية من الناس الحياديين، واللامباليين سياسياً، ونادراً ما يصوتون، وبالتالي لا توجد لديهم أي انتماءات حزبية (حنة أرندت ـ 1993 ص 36 ، 37) .

ومما يعضد وجهة النظر القائلة بأن الجماهير هم أناس أصابتهم أمراض المجتمعات الحديثة التي أشعرتهم بالعجز، وحولتهم إلى مجرد أعداد، وتأثيرها محدود، على الرغم من أنهم يمثلون الأغلبية، وجدنا ذلك واضحاً عند انطلاق " الحركات النازية في ألمانيا والحركات الشيوعية في أوروبا بعد عام 1930. نجد اجتذابها أنصار من هذه الجماهير اللامباليين، والذين كانوا موضع رفض من الأحزاب جميعاً، لاتصافهم بالبلادة والحماقة، مما يصرف النظر عنهم. ترتب علي ذلك أن غالبية المنتسبين إليها كانت من أناس لم يقدر لهم الظهور علي الساحة السياسية من قبل، وأدى أيضاً إلى إدخال نمطٍ من الدعاية السياسية لم يكن معتاداً من قبل ".(المرجع السابق ص37) .

إن نشأة الحركات التوتاليتارية ترتبط بمناخ عام يمهد لظهورها يتمثل في أن تكون الجماهير في حالة تفتت وضياع وانعدام للوعي، وتلاشي للرؤية. نجد ذلك واضحاً في التوتاليتارية النازية، والتوتاليتارية البلشفية في اختلافهما البين في ظروف نشأتهما. يعني هذا أن الظروف تتضافر لتؤدي إلى ظهور الحركات التوتاليتارية. لذلك نجدد أن ستالين كان مجبراً على خلق المجتمع المتشظي هذا خلقاً اصطناعياً، حتى يستطيع أن يحول الديكتاتورية الثورية التي أرساها لينين إلى نظام توتاليتاري كلياً. بينما كانت الظروف التاريخية في ألمانيا هي التي مهدت السبيل أمام النازيين لصنع ديكتاتوريتهم الخاصة. إن انتصار ثورة أكتوبر بسهولة إنما تم في بلد تمكنت منه البيروقراطية الاستبدادية والمركزية، حيث تسود جمهوراً من شعب عديم الشخصية (حنة أرندت ـ 1993 ص 47).

ويؤكد برديائف على أن الثورة الشيوعية من طراز فريد، لأنها لم تكن مجرد تغيير سياسي أو اقتصادي، بل كانت ظاهرة دينية وروحية مشوهة نابعة من عمق النفسية الروسية التاريخية. واستحالة حدوثها ثانية. لأن الشيوعية غريبة عن المجتمع الروسي، وتنحدر من أبوة أجنبية، وفرضت على الشعب تنظيماً مستبداً ولكى نضع ذلك في لغة أكاديمية، إن تجربة الشر والعذاب تدفع الإنسان إلى أن يعلو على هذا العالم، وأن يكتسب معرفة جديدة، يقول برديائيف: "إن كل معرفة هي مؤلمة، وبزوغ الوعي يعني نهاية حالة البراءة والسذاجة الأولية عند الإنسان".(نيقولاي برديائيف،2018 ، ص293) فهو معنياً بثورة الشخص الإنساني، لا بثورة الشعب أو الجماهير، فالثورة الحقيقية موضوعها الذات الإنسانية، والثورة الشخصية وحدها من تستحق لقب ثورة (نيقولاي برديائيف:2018 ص ص 116- 117).

إن حملات التطهير في المجتمع الروسي تعني تفكيك كامل لأية روابط للفرد حتى تعزله تماماً. فعندما يتم اتهام فرد ما على الفور يتحول أصدقاؤه القدامى تلقائياً إلى أعداء، فيسعى هؤلاء إلى تبرئه أنفسهم من انتسابهم إلى هذا الشخص المتهم. ويسعون قدر استطاعتهم اثبات أن علاقتهم به أو صداقتهم معه لم تخرج عن كونها وسيلة تمكنهم من التجسس عليه والإبلاغ عنه باعتباره مخرباً أو عميلاً أجنبياً يترتب على ذلك أن كل فرد يتوخى أقصى درجات الحذر، يؤدي به ذلك إلى قطع كل صلاته وعلاقته حتى يستطيع أن ينجو بنفسه من هذا الجحيم الذي يصدر عن كل من حوله. بهذه الطريقة تمكن قادة البلاشفة أن يحدثوا مجتمعاً مشتتاً ومتناثراً، لم يكن له مثيل من قبل. ترتب على ذلك حدوث كوارث ومصائب وأحداث غير مسبوقة تاريخياً (حنة أرندت ـ 1993 ص 54، 55).

وهكذا نجد أن الحركات التوتاليتارية تتشكل من تنظيمات جماهيرية تتكون من أفراد معزولين لا هدف لهم ويفتقرون إلى الهوية وسلوكهم أقرب إلى القطيع. ونجد أهم ما يميزهم عن كل الأحزاب والحركات الأخرى، يتمثل في الولاء اللا محدود، وغير المشروط من قبل المناضل الفرد إزاء حركته .. ولديهم يقين بأن أيديولوجياتهم المزعومة تمتلك القدرة علي شمول تنظيمهم الجنس البشري بأكمله مستقبلياً.(حنة أرندت ـ 1993ص 55) . من خلال ذلك الموقف الذي تتحرك من خلاله التوتاليتارية توصلت من خلال أيديولوجيتها في إحكام سيطرتها على الجماهير. والقائد التوتاليتاري لا يخرج عن كونه موظفاً عند الجماهير ويقودها وهو ليس فرداً متعطشاً للسلطة. ولما كان القائد موظفاً محصناً، أمكن استبداله في كل لحظة، لأنه رهن إرادة الجماهير ويمثلهم، ومن غيره لن يكون لهم ممثل خارجي، ومن غير الجماهير لا وجود للقائد (المرجع السابق ص57).

ثانياً: التوتاليتارية بين الدعاية والتنظيم.

ان انطلاق التوتاليتارية تبدأ من الرعاع والنخبة، وشتان بينهما على كل المستويات. والجماهير هي الفئة التي يتم انضوائها وتؤيد التوتاليتارية من خلال الدعاية. والحركات التوتاليتارية في سعيها للوصول إلى السلطة لا تستطيع استخدام الإرهاب في ظل نظام دستوري ضامن لحرية الرأي. يجعلها هذا تشارك بقية الأحزاب في ضرورة كسب المنتسبين والظهور بمظهر المصداقية إزاء الرأي العام الذي مازال متصلاً بمصادر الاعلام الأخرى .. وإذا كان هناك تلازم بين الإرهاب والحملة الدعائية في البلدان التوتاليتارية، فإن ذلك لا يستمر طويلاً ، ولكن استمراره مرتبط بتمكنها من السلطة. وعند ذلك تتبدل الدعاية بالتلقين

العقائدي، وتتجه إلى تحقيق عقائدها الأيديولوجية وإثبات مزاعمها التطبيقية أكثر من إخافة الناس (حنة أرندت ـ 1993ص 79) .

لم يكن لينين فوضوياً، بل رافضاً لكل شكل من أشكالها. ولم يكن من أنصار الهدم لمجرد الهدم وكان في المجال السياسي يدعو إلى سياسة قاسية ولكنه لم يكن هو نفسه قاسياً. وعندما كان يشكو إليه الناس من قسوة البوليس السياسي، كان يؤكد أنه ليس مسئولاً عن هذا، ولكنها قسوة لا يمكن تحاشيها في الثورة (المرجع السابق: نفسه).

تذهب أرندت إلى القول بأن الإرهاب سيظل ملتصقاً بالحركات التوتاليتارية، حتى وإن وجدت في السلطة، ولكن دور الإرهاب في النازية أكبر من دوره في الشيوعية. وليس بخافٍ علينا ما حدث لليهود من تعذيب وقتل وحرق، صحيح أنها جريمة إنسانية، ولكن عندما يعايش إنسان بنفسه هذه المأساة فنجده أكثر تأثراً. حتى إننا نقدم العذر لموقف أرندت المعادي للنازية بشكل مطلق حتى إنها لا تري في تاريخ الإنسانية ما هو أفظع مما تعرض له اليهود الألمان. ولكن عندما اغتصب اليهود أرضاً ليست لهم، فإننا نرى في المقابل ارتكابهم جرائم تعذيب وقتل أيضاً ليس لها مثيل في حق أناس لم يكن لهم ذنب سوي أنهم أصحاب أرض تم اغتصابها. وأننا نحترم موقف أرندت من الصهيونية عندما نما إلى علمها الجرائم التي ترتكب في فلسطين فأخذت موقفاً عدائياً وهاجمت تصرفاتهم، فكان رد فعلهم أن أخذت الصهيونية موقفاً عدائياً من أرندت.

الحركات التوتاليتارية و الحملات الدعائية :

وهكذا نجد اعتماد الحركات التوتاليتارية بشكل أساسي على الحملات الدعائية، من خلال تركيزها على الخصائص التي تتصف بها الجماهير المعاصرة ألا وهي عدم اعتقادها بشئ مرئي، ولا تثق بما تسمعه وتراه. ولكن اعتقادها الأساسي يرتبط بمخيلتها، وتنبهر بما هو كوني، ومتماسك في نفسه. وهناك شبه اتفاق على أهمية التكرار في الحملات الدعائية الموجهة إلى الجماهير، لأنها تفتقر إلى الفهم وغير قادرة على التذكر. ومما لا شك فيه أن التكرار لا يكتسب أهميته إلا لكونه يقنع الجماهير بتماسك ظاهرة ما في الزمن. والجماهير في هذه الحالة تستبعد المصادفات، وتبتدع سلطة عليا كونية تتحكم في كل الحوادث والمجريات. ولذلك نجد أن ازدهار الحملة الدعائية التوتاليتارية يتمثل في هروبها من الواقع إلى الوهم ومن المصادفة نحو التماسك (حنة أرندت ـ 1993ص 92 ،93).

هذا وتسعي التوتاليتارية لتأسيس عالم ينسجم مع عقائدها. حيث إنه عالم من نسج الخيال ومتسق العناصر، ويلبي حاجات النفس الإنسانية بشكل أفضل من الواقع نفسه. لأن الجماهير بمجرد دخولها إلى هذا العالم الوهمي الأقرب إلى الخيال، تشعر بالأمان والاستقرار بعيداً عن عبث الحياة وتقلباتها واضطرابها " وتجد نفسها بعيدة كل البعد عن الضربات المتواصلة التي تكيلها الحياة الواقعية والاختبارات الحقيقية للكائنات البشرية ولآمالها "(حنة ارندت: 1993 ص95) .

واتساقاً مع ذلك الموقف نجد أن النازيين كانوا دائماً يتصفون بالحذر، من استخدام كلمات، كالديمقراطية او الجمهورية، أو الديكتاتورية، أو الملكية، قد تحدد موقفهم، وهم لا يحبذون ذلك. وإمعانا في التفرد وتحقيقاً لأهدافهم بشكل غير محدد ومبهم، حتى لا يستطيع أحد أن يتعرف على هويتهم ويظل دائماً موقفهم لغزاً محيراً، كانوا دائماً ما يتجاوزوا الواقع إلى الوهم، طالما أن هذا يؤدي بهم إلى اكتساب مزيداً من التأييد الجماهيري. ولذلك نجد ان هناك شبه اتفاق على استبعاد " كل مناقشة حول شكل النظام النازي المقبل، باعتبارها ثرثرة في شكليات لا معني لها. فالدولة في مفهوم هتلر ماهي إلا وسيلة لإنقاذ العرق، في حين أن الدولة طبقاً للحملة الدعائية البلشفية، ماهي إلا أداة في صراع الطبقات "(المرجع السابق ص95) .

وهنا نجد أنفسنا بإزاء حملة دعائية تتميز بها التوتاليتارية، وتتفوق بها على كافة الحملات الدعائية للأحزاب الأخرى. وهنا يطرح سؤال نفسه ما هو السبب في ذلك؟ نجد الإجابة التي لا خلاف عليها ألا وهي ابتعاد التوتاليتارية عن الموضوعية، ودغدغة مشارع الجماهير بحملهم إلى عالم متخيل لا علاقة له بما يدور في عالم الواقع المضطرب المتغير المليء بالمشاكل المتداخلة التي لا حصر لها . وهنا تسعى أرندت إلى تقديم

توضيح للحملة الدعائية التوتاليتارية بأن مضمونها " لا يعتبر مسألة موضوعية ينبغي للمرء أن يكون له رأي إزاءها، وإنما يصير هذا المضمون في حياتهم عنصراً بين الواقعية وعصياً علي المس شأن قواعد الحساب "(المرجع السابق ص107). وهكذا نجد تميز الحملة الدعائية التوتاليتارية وتفردها، لأنها وسيلتها الأهم على الاطلاق التي تساعدها في الوصول إلى تحقيق أهدافها في السيطرة التامة على الجماهير. إنها حملة دعائية تتصف بالالتزام والجدية التي لا تعرف تهاوناً أو تراخياً من أجل تحقيق ما تصبو إليه.

ثالثاً: التوتاليتارية والسلطة

في السلطة تتحول الأقوال إلى أفعال، وتتعامل مع عالم الواقع بكل ما يتضمنه من إشكاليات وتناقضات وصراعات. ولكننا نجد أن الوصول إلى السلطة في التوتاليتارية لا يعني ذلك تعاملها مع الواقع ولكنها تظل مخادعة في أقوالها ولا تعبر بصراحة عما تقصده، حيث نجد أن " هتلر وستالين ظلا يطلقان وعوداً بالاستقرار وذلك في سبيل أن يحجبا قصدهما في خلق حالة من عدم الاستقرار الدائم " (حنة أرندت ـ 1993،ص 143). ولذلك نجد أن وجود التوتاليتارية في الحكم يجعلها تحيا في صراع داخلي ومتناقضات. انطلاقاً من أنها دعوة عالمية للسيطرة على العالم بأكمله، فكيف لها أن تجد نفسها محاصرة في سلطة محدودة، وكذلك أيضاً أرضاً محدودة. يؤدي ذلك بالقائد التوتاليتاري أن يخوض مهمة مزدوجة مما يجعلها مهمة متناقضة. فمن جهة يحاول أن يهب عالم الحركة المتوهم واقعاً ملموساً، ومن جهة أخرى عليه أن يسعى في جعل العالم غير مستقر. لأن استقرار العالم يعني إنتهاء التوتاليتارية ويترتب على استقراره أن ينتهي الامل في احتلال العالم بأكمله. لأن الخداع يعد من أساسيات التوتاليتارية، نجد أن هتلر عندما يذهب القول بأن النازية" ليست سلعة مستوردة " وكذلك عندما يذهب ستالين إلى القول بأن الاشتراكية يمكن أن تقام في بلد واحد دون غيره. مثل هذه الأقوال لا تخرج عن كونها تعبيراً واضحاً عن الأسلوب المخادع للتوتاليتارية، لأنها تستمد وجودها واستمرارها من أمرين أساسين ألا وهما عدم استقرار العالم، وكذلك طابعها الكلي في السيطرة على العالم بأكمله (المرجع السابق ص 143، 144).

ولأن التوتاليتارية حتى عند وجودها في السلطة تظل كما هي لا تعرف سبيلاً إلى الاستقرار أو مراجعة نفسها فيما تدعو إليه قبل تمكنها من السلطة. لان ما تؤمن به وتدعو إليه دائماً في عدم امتلاك السلطة بالقطع يختلف عند الاستحواذ على السلطة. لكن التوتاليتارية لا فرق لديها في وجودها في المعارضة أو في استحواذها على السلطة. حيث إن القاعدة الأكيدة التي لا خلاف عليها في " الدولة التوتاليتارية، هي أنه كلما كان أعضاء الحكم عرضة للرؤية، تضاءل النفوذ لديهم. وكلما زادت سرية مؤسسة ما أو أحيط وجودها بالكتمان، عندئذ يتعاظم نفوذها بصورة مطردة ". (حنة أرندت ـ 1993، 158).

فالمناهج التوتاليتارية باعتبارها تقنيات للحكم، فإنها تتسم بالبساطة وان فعاليتها مؤثرة بقوة ليس لها حدود. فهي لا تحتكر السلطة فقط، بل لديها ثقة مطلقة في أن أوامرها ينبغي أن تنفذ كما هي وبدقة متناهية لا حدود لها. ان الثقة التوتاليتارية حدود لها، وأنها على يقين من أنها تصل إلى ما تريد وتحقق كل ما تصبو إليه دون الالتفات إلى المعوقات أو إلى كل ما من شأنه أن يعوق مسيرتها. وأنها لا تتعرض للصدمات. لأن الهيكل السياسي للدولة ليس له شكل محدد، وبالتالي لا تتعرض لما تتعرض له كافة الأنظمة السياسية الأخرى (المرجع السابق ص 165). وهكذا نجد أن التوتاليتارية جاءت إلى الإنسانية بنظام للحكم نقف أمامه وكلنا حيرة في فهم واستيعاب ما حدث. حيث تسلب إرادة الشعوب هكذا بمحض إرادتها، ودون أدني مقاومة. ولذلك نجد أن القائد التوتاليتاري يوجه سياسته من أجل السيطرة على العالم، ويحبذ حكم الأراضي المحتلة بواسطة الشرطة دون القوات المسلحة (المرجع السابق ص 181). تسعى تشكيلات النخبة في الحزب النازي والحركة البلشفية إلى السيطرة التامة أكثر من سعيها إلى حماية النظام في السلطة. وإن كان هناك تشابه بين غاية التوتاليتارية وبين غاية الإمبريالية، فكلاهما لديه رغبة في السيطرة على العالم. ولكن قطعاً هناك اختلاف واضح بين التوسع التوتاليتاري والتوسع الإمبريالي، يتمثل في أن الأول لا يعترف بوجود اختلاف بين وطن وبلد أجنبي. والاختلاف الأكثر أهمية يتمثل في دور الشرطة السرية في النظام الاستبدادي، ودورها في التوتاليتارية يكمن في أن الثانية لا تطارد الأفكار السرية، ولا تعترف بها طالما لم تترجم إلى أعمال في الواقع (حنة أرندت ـ 1993، 184). وهنا يطرح سؤالاً نفسه ما هي الطبقة التي تحكم

الدولة التوتاليتارية، أو بمعني آخر ماهى الطبقة الأكثر استحواذا وتأثيراً في الدولة التوتاليتارية؟ نجد أن الإجابة تتمثل في أن عملاء الشرطة السرية هي الطبقة الوحيدة التي تتحكم بشكل مباشر في الدولة التوتاليتارية، عندئذ " لا غرابة في أن يجد المرء أن بعض صفات الشرطة السرية الخاصة، إن هي إلا صفات عامة تنشأ من المجتمع التوتاليتاري أكثر من كونها خصوصيات تتميز بها الشرطة السرية التوتاليتارية ". (لمرجع السابق ص 194).

وهكذا نجد دائماً أن التوتاليتارية عندما تسلك سلوكاً ما فإنها تبتكره ابتكاراً، بمعني أننا لا نجد له مثيل في تاريخ البشرية. فعندما تتخلص الشرطة من أعدائها في ظل النظام التوتاليتاري، فإنها لا تترك وراءها أثراً يذكر ممن تم التخلص منهم. ومن خلال هذا الإبتكار الجديد في التخلص من الأعداء، كانت طريقة الاغتيال القديمة سواء كانت سياسية أو إجرامية غير فعاله، ولا نجد قبولاً في ظل النظام التوتاليتاري. لأن المجرم في الماضي عندما يرتكب جريمة قتل فإنه يترك خلفه جثة، وإن كان يحاول محو آثار جريمته، فإنه لا يستطيع مهما حاول استئصال تلك الجريمة من ذاكرة من هم علي قيد الحياة. علي العكس من ذلك نجد أن الشرطة السرية في النظام التوتاليتاري تجعل الضحية وكأنها نسياً منسياً (المرجع السابق ص 201). بالطبع يدرك السكان بمجموعهم ولا سيما أعضاء الحزب منهم الوضع بشكل عام حيث توجد معسكرات الاعتقال، وأن الناس يختفون فيها، وأن الأبرياء يتم اعتقالهم. ولكن في الوقت ذاته كل فرد منهم يعلم تمام العلم ان التكلم في مثل هذه الأسرار يعد جريمة عظمى. إن مثل هذه المعلومات التي يعرفها الجميع ويحتفظ بها كل منهم لنفسه دون أن تشاع علي الإطلاق، في هذه الحالة تفقد طابعها الواقعي وتتحول إلى محض كابوس (المرجع السابق ص 202) .

إن النظام التوتاليتاري تظل طبيعته غير مألوفة ومنهجه غير محدد وأسلوبه يتصف بالغموض. إن الأنظمة التوتاليتارية ستظل معالمها غامضة وأهدافها مستعصية على الفهم، ويكفيها أنها دائماً ما تضع الإنسانية على حافة الانهيار الشامل إن معسكرات الاعتقال في النازية إنما تمثل جريمة بكل المقاييس وفيها تنتهك إنسانية الإنسان. ولكن للحقيقة أن الإبادة التي مارسها هتلر ينبغي أن نقف أمامها طويلاً بالدراسة والتحليل محاولين قدر استطاعتنا تقديم تفسير لما حدث. ولكن سيظل الإنسان لغزآ ليس فقط للآخرين ولكن حتى بالنسبة إلى نفسه. ولكن على كل حال تعرض اليهود للإبادة وحدث ما حدث لهم، ولكن عندما اغتصبوا أرضاً ليست لهم ومارسوا التعذيب لشعب تم اغتصاب ارضه، وحاولوا بجديه ومازالوا يحاولون إبادته. هنا يطرح سؤال نفسه هل هتلر استشعر بداخلهم شراً ليس له حدود؟ او انه افترض ان تمكنهم قد ينهي الأعراق الأخرى؟ أم أنهم يمثلون عائقاً في سبيل تحقيق هدفه؟ أم أنهم يمثلون خطراً بما عرف عنهم من عدم احترام العهود، وأن الغدر متأصل بداخلهم حتى مع الأنبياء؟ هل أراد إبادتهم والتخلص منهم لأن العالم لا يحتمل وجود هتلر واليهود معاً؟ لأنه تاريخياً حدثت حروب كبرى بين المسلمين والمسيحيين، وعلى الرغم من ذلك لم يضطهد هتلر المسلمين. ولكنه كسياسي وجد أن الخطر الذي يحدق به، والغدر الذي لا يستطيع تحمله لن يأتي إلا من اليهود.

ولكن على كل حال نجد أن ما حدث في معسكرات الاعتقال اتسم بالقسوة المبالغ فيها، وأما فظاعتها فلا نستطيع أن نعيها وعياً كاملاً بمخيلتنا، سبب أنها تقوم خارج الحياة والموت. حتى من كتب له أن ينجو من هذا الجحيم يصاب بالذهول وغير مصدق لما حدث. إن الشغل الشاق بحكم كونه عقوبة محدده بفترة زمنية ويحتفظ بحقوقه. والنفي ليس نفياً إلا من جزء من العالم إلى جزء آخر منه يكون آهلاً بالسكان شأنه شأن الشطر الآخر، وليس نفياً من عالم الناس برمته. وكانت العبودية ترتبط بنظام اجتماعي قائم، ولم يكن العبيد بمنأى عن الانظار شأن سجناء الاعتقال وبحكم كونهم ملكية فإن قيمتهم محددة بثمن محدد. لكن بالنسبة للسجين في معسكرات الاعتقال لا ثمن له (حنة أرندت ـ ،1993 215، 216).

إن معسكرات الخصوم السياسيين واغتيالهم ومحاولة طمس وجودهم من الأساس لا يقتصر عليهم فقط، بل يشمل عائلات وأصدقاء الضحايا. لذا فالحزن والتذكر ممنوعان فنجد على سبيل المثال في الاتحاد السوفيتي تقوم المرأة التي يعتقل زوجها برفع دعوى للطلاق بهدف حماية الأسرة، وإذا كان لزوجها حظ في أن يعود سالماً، فإنها ترفض العودة لديه، لتقدم دليلاً علي رفضها لما حدث منه. في العالم الغربي يقر لعدوه القتيل

بحق التذكر، وسمح الرومان للمسيحيين بأن ينقشوا أسماء شهدائهم، والإنسانية كانت كذلك على مر العصور لم يكن لينطوي أمر في عالم النسيان، ولم يحدث ذلك مطلقاً. نجد أن معسكرات الاعتقال جعلت الموت نفسه مجهول الهوية، بمعني لا نستطيع معرفة إذا كان السجين حياً أو ميتا. فقد استطاعت المعسكرات في تجريد الفرد من موته الخاص، مثبتين بذلك أنه لا ينتمي إلى أحد ولا يساوي شيئاً (حنة أرندت ـ ص 228 ، 229).

مهما حدث من تجاوزات من النظام التوتاليتاري في محاولته طمس الإنسانية، سيظل الإنسان إنساناً، وإن حدث هذا الطمس سيظل شكلياً لأن الانسان سيظل متفرداً، وإن هذه الفردية أهم ما يميز الإنسان. ولن توافق كافة الأنظمة في جعل كل الناس عديمي الجدوى بصورة متساوية. وإن استطاعت تحقيق أهدافها سيظل ذلك مقصوراً فقط على معسكرات الاعتقال. ولكن الشيء المحقق هو أن التوتاليتارية لن تستطيع تحقيق أهدافها بشكل كامل. وسنجد أن التوتاليتارية وإن فشلت في تحقيق ذلك بشكل كامل، فإنها ستكون على الأقل أظهرت أمام الجميع أن الإنسان عديم الجدوى. وياليت التوتاليتارية تدرك أنه مهما كانت قبضتها شديدة فسيظل تحقيق أهدافها مستحيلاً (حنة أرندت ـ ص243).

تختلف التوتاليتارية ـ كما أشرنا سابقاً ـ عن كافة أشكال القمع السياسي من طغيان أو استبداد أو ديكتاتورية. وعندما تتواجد التوتاليتارية في السلطة تنشأ مؤسسات سياسية جديدة لأنها تدمر كل شيء كان موجوداً من تقاليد اجتماعية وتشريعية وسياسية قائمة في البلاد. وتزلزل الأوضاع القائمة بل تقوم بمحوها تماماً. فتحول الطبقات إلى جماهير، وتستبدل الأحزاب بحركة جماهيرية، ويجعلوا السلطة للشرطة بدلاً من الجيش، وتعتمد سياسة خارجية هدفها السيطرة على العالم (المرجع السابق: نفسه).

والتوتاليتارية في السلطة لا نجد لها مثيلاً في تاريخ الإنسانية السياسي، ومن المستحيل أن يتخيل إنسان قبل النازية الألمانية، والستالينية السوفيتية أن يوجد نظام للحكم على هذا النمط، ألا وهو وجود نظام استبدادي بدون قوانين وسلطة يحتكرها فرد واحد في العصر الحديث. تحافظ القوانين علي استقرار المجتمع، وعدم وجودها يعني الفوضى" فإن مجتمعا بلا قوانين، لن يكون مجتمعاً حراً، كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهله، بل سيكون مجتمعاً فوضوياً يسحق قوية ضعيفة. ومادام في المجتمع قوي وضعيف، فستكون الحرية دائماً أداة للجور والطغيان، وسيكون القانون دائماً أداة التحرير والتنظيم. وربما كان الأصل في شتي التصورات الخاطئة للحرية هو هذا الخلط المستمر بين الحرية والفوضي، وكأن الانسان الحر انما هو ذلك الموجود الأخرق الذي يتصرف دون أدنى باعث على الإطلاق!" (زكريا إبراهيم ـ 1971 ص 78)

إن هدف الدولة الأسمى هو تحقيق العدالة، دفع ذلك فلاسفة القانون إلى القول " بأن الدولة الصالحة بمعني الدولة العادلة يحكمها القانون لا الإنسان، وأعلنوا بوضوح تام أن الحكام رغم عمق معرفتهم وحكمتهم، ورغم أصالة وظيفتهم، فإنهم يفتقدون الكمال، إذ ليس في استطاعتهم أن يحرروا أنفسهم تماماً من قدر من التحيز وقصر النظر والجهل ". (ميشيل حنا متياس ـ 1993 ص 207).

إن النظام التوتاليتاري هو عدو لكل حرية، غير أن هذا النظام التوتاليتاري لا يوفق أبداً في تحقيق هدفه في استئصال عشق الحرية من أفئدة الناس. إنه مهما كان اعتراض النظام التوتاليتاري علي الحرية، فإنها موجودة رغماً عن الجميع، نتيجة أن هناك ولادة للإنسان، وأن هذا يعني بدء جديد فيبدأ معه عالم جديد. والأنظمة الشمولية ترفض التعدد والتنوع والاختلاف. وكذلك تحطم كل علاقة بين أفراد المجتمع وتنشر بينهم العداوة وعدم الثقة والبغضاء. يؤدي ذلك إلى عزل كل ذات عن الأخرى. عندئذ يفقد الإنسان أهم شرط لممارسته السياسة ألا وهو التواصل والحوار مع الآخر. هذا يعني أن الأنظمة الشمولية تجهض تماماً الممارسة السياسية، وتعادي بقوة الحرية السياسية. فهى لا تكتفي بتهميش المعارضة كباقي الأنظمة الاستبدادية، بل تسعى إلى محو الفضاء السياسي العام بالكامل وإخضاع المجتمع والدولة لإيديولوجية الحزب الواحد والحاكم المطلق.

ومن المفارقات التي تلفت نظرنا أنك لن تجد " حاكماً واحداً يعترف بأنه يحكم حكماً دكتاتورياً. وإن كان بالفعل كذلك، ويدلل على ذلك هذا الاعتراف الضمني ما تجده في أنظمة عاتية في الاستبداد لكنها (تتمسح)

في الديمقراطية ومجالسها النيابية على نحو ما كنا نجده في النظام الشمولي السابق في الاتحاد السوفيتي الذي كان يسمى نفسه بالديمقراطية الشعبية "(إمام عبد الفتاح إمام ـ 2001م ص 22) . وهكذا نجد أنه على الرغم من المصائب والكوارث التي تحدث للإنسانية، سيظل الإنسان إنساناً، لا يمكن سلب حريته وارادته، وإن حدث ذلك، فإن ذلك لا يدوم طويلاً. وسيظل الإنسان خارج كل التوقعات ولم لا؟ والإنسان بمعناه الفردي يظل يمثل عالماً قائماً بذاته وله خصوصيته. إن كل ما من شأنه أن يحقر من تفرد الإنسان وحريته مصيره إلى الزوال " وتظل هذه الحقيقة ماثلة في أن كل نهاية في التاريخ تتضمن بالضرورة علي بدء جديد .. على أن البدء قبل أن يصير حدثاً تاريخياً، هو طاقة الإنسان القصوى، وهو من الوجهة السياسية مماثل لحرية الإنسان. ونستشهد بذلك بما قاله القديس أوغسطين أن البدء تضمنه كل ولادة جديدة، إنه في الحق، كل إنسان ".(حنة أرندت ـ ص 277).

التوتاليتارية والعولمة:

وبانهيار الشيوعية سيطر المعسكر الغربي على العالم بشكل كامل، وظهر مصطلح العولمة الذي يعني تعميم نسق الحضارة الغربية على كل دول العالم وهنا نجد تشابها بين التوتاليتارية والعولمة في كونهما يحاولان تعميم فكرهما على العالم. وهنا نستطيع القول بأن التوتاليتارية في القرن العشرين حاولت فرض سيطرتها على العالم، نجد أن العولمة في القرن الحادي والعشرين تسعي إلى ما كانت تسعى إليه التوتاليتارية، في محاولة السيطرة على كل شعوب العالم. فالعولمة إذن تسعي إلى السيطرة على العالم من خلال تعميم نمط الحضارة الأمريكية على شعوب العالم. فالعولمة تتجه نحو فكرة أساسية هي (طمس الخصائص المحلية)، لأي مجتمع والقضاء على الثقافات المحلية، أو تحويل الأنشطة، والثقافات المحلية لثقافات عالمية من خلال النقل السريع، والإنتشار الكبير لها باستخدام التكنولوجيا (جون جراي ـ 2000 م ص 83).

وامتداداً لذلك نجد أن أطروحات تلغي الحدود بين الدول بعضها البعض، بل واعتبار أن علم الخرائط القديم قد فقد صلاحيته، ولم يعد أكثر من وهم. وكذلك توقع "نيكولاس نجريونت " تبخر الدولة القومية وانقراضها. ويرى " بريان فاريل " أنّ دور المستثمرين سوف يفوق دور الزعماء السياسيين الوطنيين (جون جراي ـ المصدر السابق ص 97). وكما انهارت التوتاليتارية في محاولة سيطرتها على العالم، كذلك نتوقع أيضاً فشل العولمة في محاولة سيطرتها على العالم. ونستطيع القول بأن الفشل قد حدث بالفعل، بعد أن عارضت كثير من دول العالم المخطط الأمريكي، ولا سيما بعد أن بدأت روسياً تظهر كقوة عالمية مؤثرة في مواجهة أمريكا.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث تخلص الى النتائج وهي:

- كانت أرندت تذهب إلى أن هناك نظاماً توتاليتاريا في ألمانيا الهتلرية، وكذلك نظاماً توتاليتاريا في روسيا الستالينية، ولكن ستظل الهتلرية هي قمة ما وصلت إليه التوتاليتارية. نتيجة توافر فيها كل الصفات التوتاليتارية، ولا سيما التأييد الجماهيري الجارف. بينما التوتاليتارية في روسيا الستالينية ظلت توتاليتارية مترددة بمعني أنها إبان الحرب العالمية الثانية تلاشت مؤقتا صور الاستبداد، ولكن لم يحدث هذا مطلقاً في ألمانيا الهتلرية.
- والتوتاليتارية لا تقف عند الغاء الحرية بشكل تام وشامل، بل انها تقوم بالقضاء على كل ما هو عفوي لتوطيد فكرها الرافض لكل ما من شأنه أن يتم عن طريق الصدفة. ومن الوجهة التقنية فإن ما يميز النظام التوتاليتاري، هو غياب كل سلطة أو تنظيم من شأنه أن يحدد شكل الحكم.
- النظام التوتاليتاري شأنه شأن كل الأنظمة الاستبدادية، لن يكتب له الاستمرارية إلا عندما يدمر الحياة العامة، ويدمر طاقات الإنسان السياسية، مستخدما في ذلك أسلوب عزلهم عن بعضهم البعض. ولا يكتفي النظام التوتاليتاري بهذه العزلة، بل يسعي إلى القضاء على الحياة الخاصة.

- إن الحكم الاستبدادي لا يستند إلى إرادة شعبية ولا يهتم بما يحدث للجماهير، ولا يعنيه أن قرارته تؤثر بالسلب أو الايجاب. ولكن كل ما يسيطر عليه هو أن يملي رؤيته وإرادته على الشعب الذي يحكمه دون الرجوع أو أن يأخذ في الاعتبار رأيهم.
- أن التماثل بين التوتاليتارية والاستبداد لا يوجد، إلا في المراحل الأولي من التوتاليتارية، وطالما كانت المعارضة السياسية قائمة.

- إن الصراع الذي تخوضه التوتاليتارية من أجل السيطرة على كل شعوب العالم، وإزالة كل واقع غير توتاليتاري يكون في موقع المنافسة، هما ما يلازمان وجود الأنظمة التوتاليتارية نفسها. لأنها إن لم تضع حكم العالم هدفاً لها، فإن ذلك يعني انتهائها وفقدها حتى السلطة التي بين يديها.

- توقعت أرندت انهيار شامل ومفاجئ وسريع وغير متوقع للشيوعية الروسية، وتم تفكيكها، وتراجع دورها، وسيطرت أمريكا على المشهد العالمي بعد انتهاء المعسكر الشرقي. وكانت المفاجأة أن المعسكر الشرقي انتهي من تلقاء نفسه وبدون مواجهة مسلحة بين طرفي الصراع.

-أن انهيار الشيوعية كما تنبأ العديد من أمثال أرندت وغيرهم نتيجة عدم احترام الحرية الإنسانية، وتحولت البلدان الشيوعية إلى سجن يتم فيه وأد كل رأي حر، وأن المعارضة يتم التخلص منها فوراً، على افتراض وجود معارضة.

- وبانهيار الشيوعية سيطر المعسكر الغربي على العالم بشكل كامل، وظهر مصطلح العولمة الذي يعني تعميم نسق الحضارة الغربية على كل دول العالم. وهنا نجد تشابها بين التوتاليتارية والعولمة في كونهما يحاولان تعميم فكرهما على العالم.

المصادر والمراجع

أولًا : المصادر

[1] حنة أرندت ـ في العنف ـ ترجمة إبراهيم العريس ـ دار الساقي ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ـ 1992 م.

[2] حنة أرندت ـ الوضع البشري ـ ترجمة هادية العرقي ـ مكتبة الفجر الجديد ـ لبنان.

[3] حنة أرندت ـ ما السياسة؟ ترجمة وتحقيق د. زهير الخويلدي، سلمي بالحاج مبروك ـ مكتبة الفجر الجديد ـ لبنان ـ الطبعة الاولي ـ 2014 م.

[4] حنة أرندت ـ أسس التوتاليتارية ـ ترجمة أنطوان أبو زيد ـ دار الساقي ـ الطبعة الأولي ـ 1993 م.

ثانياً: مراجع عامة

[5] د. إمام عبد الفتاح إمام ـ الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي ـ عالم المعرفة ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ 1993م.

[6] د. إمام عبد الفتاح إمام ـ الأخلاق والسياسة (دراسة في فلسفة الحكم) ـ المجلس الاعلى للثقافة ـ 2001م.

[7] إ. م. بوخنكسي ـ الفلسفة المعاصرة في اوروبا ـ ترجمة د. عزت قرني ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ 1992 م.

[8] برتراندرسل ـ حكمة الغرب ـ الجزء الثاني ـ الفلسفة الحديثة والمعاصرة ـ ترجمة د. فؤاد زكريا ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ 1983م.

[9] تيموتر روبيرتس ـ إيمي هايت ـ من الحداثة إلى العولمة ـ ترجمة سمر الشيشكلي ـ مراجعة ـ محمود ماجد عمر ـ عالم المعرفة ـ الجزء الأول ـ العدد 309 ـ 2004م.

[10] جون جراي ـ الفجر الكاذب (أوهام الرأسمالية العالمية)، ترجمة احمد فؤاد بلبع ـ مكتبة الشرق ـ 2000 م.

[11] جميل صليبا ـ المعجم الفلسفي ـ الجزء الثاني ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت1982 م.

[12]جميل صليبا ـ المعجم الفلسفي ـ الجزء الأول ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت 1982م.
[13]ريجيس جوليفيه ـ المذاهب الوجودية من كيركجورد الي جان بول سارتر ـ ترجمة فؤاد كامل ـ مراجعة د. محمد عبد الهادي أبو ريده ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ 1982م.
[14]د. زكريا ابراهيم ـ دراسات في الفلسفة المعاصرة ـ الجزء الأول ـ دار مصر للطباعة ـ 1968م.
[15]د. زكريا إبراهيم ـ مشكلة الحرية ـ مكتبة مصر ـ القاهرة ـ 1971 م.
[16]سدني هوك ـ التراث الغامض ماركس والماركسيون ـ ترجمة سيد كامل زهران ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ 1986م.
[17]د. عبد الرحمن بدوي ـ دراسات في الفلسفة الوجودية ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ الطبعة الأولى ـ 1980 م.
[18]د. علي عبد المعطي ـ الفكر السياسي الغربي ـ دار المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية ـ 1980 م.
[19]كانط ـ مشروع للسلام الدائم ـ ترجمة وتقديم د. عثمان أمين ـ الهيئة العامة للكتاب ـ 2000م.
[20]كارل ياسبرز ـ مستقبل الانسانية ـ ترجمة وتقديم د. عثمان امين ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ الطبعة ـ الأولي 1963
[21]د. ميشيل حنا متياس ـ الديمقراطية والدستور ـ عالم الفكر ـ المجلد الثاني والعشرون ـ العدد الثاني ـ الكويت ـ 1993 م.
[22]د. مراد وهبه ـ المعجم الفلسفي ـ الطبعة الخامسة ـ دار القباء الحديثة ـ 2007 م.

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **JSHD** and/or the editor(s). **JSHD** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.